الدانمرك : دراسة في تجربة اعلامية

ان النموذج الاعلامي التالي معروض هنا بصفته تجربة للدراسة ، ولاستخلاص قوانين وقواعد اعلامية في معركتنا المركبة ازاء ما يوصف ، اختصارا ، (واحيانا تشويها فظا) بانه « الراي العام العالمي » . ولعلنا لسنا بحاجة الى اعادة التذكير بأن فهمنا « للراي العام العالمي » ، ولدور الاعلام الذي على المقاومة الفلسطينية ان تسلكه، هو فهم نابع من تصور سياسي مكتوب ومعلن لطبيعة المعركة التي نخوضها ، وصفتها المحلية والاممية ، وطبيعة القوى المعادية التي تواجهنا ، وبالتالي تقسيم ما يسمى تبسيطا انه « رأي عام عالمي » الى دول متقدمة ودول متخلفة ، والى طبقات ذات مصالح في كل منها ، وفيما بينها . ونتيجة ذلك توجه الاعلام الى القوى المرتبطة مصلحيا بانتصار الثورة . على أن اهمية النموذج التالي هو كونه يدخل الى تفاصيل هذه التعميمات، ويحاول استكشافها بالتجربة ، وبالتالي يضع مقياسا للاجابة على اسئلة من طراز : الى اي مدى يستطيع « حوار الاقناع » ان يصل في الاوساط الليبرالية ، وعلى اي اساس يعتمد تطوره ، وما هي امكانيات نجاحه الجزئي ، على الاقل ، في توضيح التناقضات الثانوية الكامنة في صفوف مثقفي الطبقات الوسطى في اوروبا الغربية ازاء « قضية الشرق الاوسط » .

والنموذج التالي هو « قصة » بسيطة ، وقد جرى اختيارها بالذات بسبب بساطتها : فقد قامت دار نشر دانمركية مستقلة ، بنشر كتاب عن « اطفال اسرائيل » ، في سلسلة دأبت على نشرها عن اطفال العالم . وبما ان الكتاب هذا يشكل نموذجا للتثقيف الصهيوني غير المباشر ، الناتج عن ايمان غير ممتحن بمعطيات الثقافة السائدة ، فقد قامت « لجنة الاعلام المركزية » في ج. ش. ت. ف. بمحاولة لاقناع دار النشر التي اصدرته بسحبه من الاسواق . والقصة التي نحن بصددها هي مجرد تفاصيل هذه المحاولة ، لانها تعكس في الواقع القوانين والقواعد التي تحكم مثل هذه الحالة ، وهي قوانين وقواعد من المهم معرفتها ومعرفة آلية عملها ، ونقاط ضعفها ومقاتلها .

لقد اكدنا على اختيار دار النشر الدانمركية المشار اليها ، والكتاب المشار اليه ، لانهما يمثلان « حالة عادية » — بمعنى : ان دار النشر هذه ليست صهيونية ، ومن المفترض انها لا تخضع لضغط صهيوني مباشر ، وان الدانمرك دولة يعاني مثقفوها وطبقاتها الوسطى اقل من اي دولة اوروبية اخرى من عقدة اللاسامية ، (وهي ضاغط اعلامي ثقيل) وان نشاط دار النشر المشار اليها موجه من قبل وسط ليبرالي ، نحو المدارس التي يفترض ان تكون المواد التي تعتمد عليها ممتحنة من قبل « الراي العام » الحريص على « نظام تعليمي حر ونظيف » . نحن اذن امام حالة نموذجية ، تمثل ، من جهة ، الحد الادنى من العراقيل التي يتوقع الاعلام الفلسطيني ان يواجهها حين يتوجه الى الرأي العام الاوروبي التقليدي (المتوسط) وتمثل من جهة اخرى الحد الاعلى من النتائج التي على الاعلام الفلسطيني ان يتوقعها من « حوار اقناع » عقلاني مع هذا الراي العام الاوروبي في مستواه التقليدي (المتوسط) . فما هي الحصيلة ؟ ان دار النشر المسماة : «Laererforeningernes Materialeudvalg» والتي سنرمز اليها في هذا المقال بحرفي (ل. م.) مختصة بنشر كتب للاطفال ، توزع على مكتبات المدارس الابتدائية بصورة خاصة ، وتعتمد كمادة تعليمية . وقد نشرت كتاب « **الاطفال في اسرائيل**»، وهو موجه في الغالب للاطفال الدانمركيين (والسكندنافيين اجمالا) الذين تتراوح اعمارهم بين ثماني وعشر سنوات . وعند اطلاعها على الكتاب ، وجهت لجنة الاعلام المركزية في ج. ش. ت. ف ، الرسالة التالية الى (ل. م.) في أول شباط ١٩٧١ :

« وقعت بين أيدينا نسخة من كتابكم « الاطفال في اسرائيل » ، الذي كتبه « انغار وكيلد فرنكيلد » ونشرتموه عام ١٩٦٤ ، ثم عام ١٩٦٧ ، وفهمنا انه اعيد توزيعه مؤخرا على نطاق واسع في المدارس الابتدائية في الدانمرك وبلدان اسكندنافية اخرى . ان قراءتنا لهذا الكتاب ، المحرض على العنصرية والكراهية ، والذي هو وجه اخر من وجوه فاشية عرقية يجري بعثها في العقول البريئة العزلاء لاطفال بلادكم ، ضد الاطفال العرب ، هي التي